لميا جريج في غاليري «جانين ربيز»

كما الأيام في روزنامة

علي عسيلي

تغلب على معرض الفنانة لميا جريج بقع من الأحمر أو الأسود، على خلفيات بيضاء أو رمادية. وبما أن هذه البقع هي المساحات الايجابية، فسيكون العنوان «أحمر وأسود» منطقياً أو بديهياً للمعرض الذي ضم ٢٦ لوحة بالمواد المختلفة على القماش أو على الورق.

حالة

هذا العنوان، وبغض النظر عما تصوره اللوحات، يتطابق مع عنوان معرض زينة قمر الدين «أحمر وأسود»، وهما اللونان المجموعان إلى حالة في عنوان معرض صونيا عبد «أحمر، أسود وخفة»، والخفة معها ليست بالضرورة شيئاً مفرحاً، كالطيران من قلة الوزن، وإنما هي انعدام الوزن بمعنى انعدام الفاعلية، إنها الخفة غير المحتملة، كالنوم والانتظار الطويلين، اللذين أشرنا إليهما في معرضها والممكن تحسسهما في عنوان معرض ريم الجندي، «أوقات زيارة بينلوبي»، فالخفة معهن رجاء تخفف، وإذن دليل ثقل ومعاناة.

ولوحات هؤلاء الفنانات الاربع في معارضهن هذه تحديداً، تنحصر بلونين أساسيين لا غير: الأسود والأحمر، على الرغم من التواجد الدائم للأبيض، لكن العناوين تهمله، لأن اللوحات تصور حالة إهماله وتحوله. فبحسب التوالي الزمني لمعارضهن، تسمي عبد تلك الحالة «خفة»، بينما تكتفي قمر الدين بالاشارة إلى الحالة على أنها «أحمر وأسود»، ومع الجندي تتحول التسمية إلى «أوقات زيارة» ويتوارى الأحمر والأسود تحت اسم «بينيلوبي»، بينما لا عنوان مع لميا جريج.

باختصار، وعلى اختلاف أساليبهن، ومواضيعهن الظاهرية، تدور هؤلاء الفنانات حول المضمون أو المعاناة ذاتها: الجسد السلبي.

الجسد الانثوي تحديداً، الذي يرمز له لون الخلفية الأبيض مع جريج.

مجتمع

طبعا من الممكن قراءة أعمال جريج انطلاقاً من الحرب، كأن نكون أمام ضمادات فوق جسد مثقوب بالرصاص، لكن مهما طال الكلام في هذه الوجهة سيعود بنا إلى الجسد الضحية، أي الانثوي السلبي وهو«الين»، القطب الأسود في التقسيم الذكوري لدائرة «الين واليانغ» الرمزية. بمعنى ان الأبيض لدى جريج والفنانات المذكورات، أبيض سلبي، لذا نجده يعاني من تحوله إلى أسود مروراً بالاحمر. وبكلام آخر تعاني المساحة السلبية في لوحة لميا من المساحة الايجابية التي هي لونها الداخلي، وإنما لونها المرفوض، لأنه ما تلونت به في مجتمع ذكوري أنجب رمز «الين واليانغ»، محتفظاً بكل الايجابيات لنفسه مسقطاً كل السلبيات على شقه الآخر، علماً أن ذلك الرمز لا يصور هذا التمييز والاحتكار. فالمجتمع ذكوري من عجزه عن ترجمة التوازن الدقيق المصور في ذلك الرمز، وأي مجتمع أنثوي لن يكون إلا العجز الذكوري ذاته، بوجهة معكوسة.

ولهذا لا تنتج الفنانات فناً أو خطاباً مغايرين، وإنما في أفضل الاحوال تجهدن لإيجاد مواقع كمنابر للتعبير الصادق عن معاناتهن مع الطرف الآخر أو منه. وهو بديهياً الشيء نفسه الذي يفعله الفنانون الذكور.

مثلاً: الرمادي هو لون الأبيض الباطني مع لوحات يوسف عون، فالأبيض لديه هو الانثى، لكنها الانثى المغمورة بالضوء الذي يخصبها، ولذا فالأبيض هو الرجل اللامرئي (الفنان).

ومع جريج الاحمر هو لون الأبيض الباطني، أي الرمادي نفسه مع عون الذي ينزف هنا حتى الاحتراق، حتى الأسود.

افتراض

بمعنى ان الانثى المضاءة مع عون، تصل إلى حد الاحتراق مع جريج بفعل ذلك الضوء نفسه. الأبيض هناك مخصب، وهنا محروق أو مجروح، ولذا تشبه لوحة لميا تفصيلاً مكبراً من خلفية لوحات ريم، المعروضة حالياً في غاليري مرايا، والتي قلنا عنها بأنها مجاز الجسد المجروح بمئات الذكريات.

والجميل في لوحات جريج، التراصف الفوتوغرافي للجراح، عن طريق ثني الورقة على محور أفقي مثلاً لتنطبع البقعة الاولى فتنتج بقعة ثانية ثم ثني الورقة على محور عمودي لينتج عن البقعتين السابقتين بقعتان جديدتان. إذ لا يهم ما هي الذكريات وإنما عدد جراحها التي قد تتوالد من بعضها، أو تتكرر وتتراصف بجانب بعضها، كما الايام في الروزنامة، اعداد جراح، ويظهر هذا خاصة مع أيام الاعياد الدينية، أو بشكل عام مع أيام العمل، أو بطريقة عكسية مع أيام العطلة، فهي أيام شفاء من العمل الذي كان الجرح أصله.

ويكون الفرق بين اليوم والآخر، في عدد الجراح وفي مواقعها على الجسد المقدس أو العادي، وهذا ما ترتكز عليه تكرارات لميا.

وقد يكون الموت عن طريق التحلل سمة اللوحات الظاهرة. لكن التقنية التي تعتمدها الفنانة غالباً ما صنعت مساحات متخثرة، وهذا ما يضعنا أمام جراح قديمة (ولو مع احتمال تجددها)، يضعنا أمام أمل بشفاء أو تطهر الجسد (المجتمع) من اسوداده، لذا يبقى الأبيض افتراضياً.